الوحي والعقل في الإسلام

الدكتور أبو عمران الشيخ*

برزت صلة الوحي بالعقل في الإسلام منذ القرن الهجري الأوّل والقرن السابع الميلادي، وخاصة في بداية المدرسة الاعتزالية. ثمّ اتضحت هذه الصلة من خلال المناظرات التي انتشرت فيما بعد حين التقى الإسلام بنظريات حديثة. وفي الواقع إنّ هذه المسألة كانت لها أهمية دينية وأخلاقية عظيمة في الاعتزال حيث تميزت بها هذه المدرسة الفكرية عن المدارس الإسلامية المعاصرة له واللاحقة بها.

أجمع كبار المعتزلة على وحدة الوحي والعقل. فيرى أبو علي الجبائي وهو رئيس الاعتزال في القرن الثالث الهجري (القرن 9 بعد الميلاد) أنّ كل معرفة

* رئيس المجلس الإسلامي الأعلى.

هي عقلية وسمعية في آن واحد[1] ويؤكد عبد الجبار (المتوفي سنة 415 هـ/1025م) هذا الرأي[2] ويضيف أحد تلامذته أن الأفعال التي حرمها الوحي هي بالذات التي يرفضها العقل[3]. وينجم عن هذا كله أنّ من ينحرف عن العقل يبتعد عن الشريعة في نفس الوقت؛ إنّ الشريعة لا يمكن أن تناقض العقل. والشيء الذي يعلمه الله مخالفا للعقل لا يمكن وجوده، مثل وجود الدائرة المربعة أو عقوبة الأطفال في جهنم[4].

تؤدي هذه النظرية إلى طرح عدد من التساؤلات: هل التوفيق بين الوحي والعقل يناسب الإسلام؟ وإذا حصل هذا التوفيق الأساسي لماذا الوحي؟ ألا يكفي العقل وحده؟ وفي حالة الخلاف بينهما ما هو الذي يجب أن تكون له الأسبقية؟ سنحاول في هذا البحث أن ندرس هذه المسألة ونعرض الحلول التي توصل إليها المعتزلة وميزات آرائهم عن آراء خصومهم.

1. اعتماد المعتزلة على العقل.

يعتمد المعتزلة على العقل انطلاقا من القرآن والسنة النبوية. فيستشهد المرتضى (436هـ/ 1045م) بالآية الكريمة: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ[5]﴾ كما يذكر يحيى بن الحسين (298/910) الآية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ[6]﴾. ويروي الماوردي (450هـ/ 1058م) حديثا شريفا يشير إلى مكانة العقل في سلوك الإنسان: "لكل عمل دعامة، ودعامة عمل المرء عقله"[7].

1. علي خشيم، الجبائيان، طرابلس (ليبيا)، 1967، ص282. – 2. عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، مكتبة وهبة، القاهرة 1965، ص 142. – 3. ابن متويه، المحيط بالتكليف، الجزء الأول، القاهرة بدون تاريخ ص 235. – 4. ألبير نادر، فلسفة المعتزلة، في جزئين الإسكندرية، 1950-1951، ج1. ص65. – 5. سورة يونس، الآية 100. – 6. سورة الجاثية، الآية 3. – 7. الماوردي، أدب الدنيا والدين، مكتبة الحلبي القاهرة 1965، ص3.

إنّ العقل هو أساس جميع المعارف والأفعال، جعله الله أساس الحياة الاجتماعية والدينية، وبالعقل جعلنا الله مسؤولين عن أعمالنا[1]. والعقل هو الذي يسود وجودنا ويفسر تضامننا مع بني البشر رغم اختلاف الحاجات والمصالح. والعقل هبة من الله للإنسان[2]. عملنا يقتضي معرفة الله وهي تيسر لنا الشعور بحدود حريتنا وتبين لنا الواجبات. غير أن معرفة الله لا تكسب إلاّ بالعقل[3].

العقل شيء مشترك بين جميع الناس الذين يتمتعون بقدراتهم الفكرية. ولكن لبعضهم قدرة أكثر من بعضهم[4]. المعرفة العقلية واجبة على كل إنسان لأنّها تتضمن المسؤولية، واستعمال العقل يساعد على تجنب الخطأ والخوف[5]. وذلك لأنّه لا يصدر عن سلطة ظالمة أو عابثة، والله ذاته لا يعير قيمة لعمل ما إلاّ لسبب مشروع. فإنه لا يأمر الإنسان بفعل معيّن ثمّ يعاقبه لتنفيذه ذلك الأمر. ويحصر أبو علي الجبائي وظيفة العقل العملية في العلم الذي يبعد عن الشر ويحض على الخير.

أمّا أفعال الإنسان فهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأفعال العقلية والأفعال الشرعية والأفعال التي يمكن أن تساهم في أحكام أفعال أخرى[6]. النوع الأوّل يعبر عن حرية الاختيار والتأمل فيعلم الفاعل مثلا أنّ من واجبه أن يرد الأمانة إلى صاحبها، كما يعلم أنّه يتعيّن عليه أن يعترف بالجميل لمن أحسن إليه ويستطيع كل إنسان أن يقوم بهذه الأفعال. فهي تقرّب الإنسان من الله ويشترط فيها معرفة الله أولا. وذلك بفضل التأمل والاستدلال العقلي. ونذكر من هذه الصلاة والصيام[7]. والعقل عند المعتزلة نوعان: العقل الفطري الذي يظهر في البديهيات الأولى مثل أن "الشيء موجود أو معدوم"

---

1. عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، بيروت، بدون تاريخ، ص111. ـ **2.** التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، بيروت، بدون تاريخ، ج2، ص9. ـ **3.** عبد الجبار، شرح، ص. 88. ـ **4.** رسائل العدل والتوحيد، ج.2، ص.177-178. ـ **5.** عبد الجبار، شرح، ص. 68. ـ **6.** أبو الحسن البصري، المعتمد، المعهد الفرنسي، دمشق 1964، ج1، ص. 363-364. - **7.** عبد الجبار، شرح، ص 70 و 327.

و"توحيد المتناقضين مستحيل" و"والواحد من الاثنين"، والعقل المكتسب ينطلق من البديهيات ويتطور ويتحسن بالعمل والتجربة المستمرة[1]. وعلى هذا الأساس يميز المعتزلة بين نوعين من الأفعال العادية وهي الأفعال التي تصدر عن العقل الفطري والأفعال التي تستند على التأمل والاجتهاد[2].

ويرى النظام (231هـ/ 846م) أنّ العقل هو الذي يوجه الفعل ويرشده، ويتجلى دوره خاصة في حرية الاختيار التي يشترط فيها دافعان متعارضان، واحد يحض على الفعل وآخر يمنعه[3]. فيسمح العقل باختيار أحد الدافعين[4]. وفي القرآن الكريم أكثر من آية تدل على ذلك منها:

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ[5]﴾ وقد بين السجستاني ـأستاذ التوحيديـ معنى النجدين وهو طريق الخير وطريق الشر[6].

2. صلة الوحي بالعقل.

أكّد المعتزلة صلة الوحي بالعقل منذ نشأة المدرسة كما أشرنا إلى ذلك سابقا، إلاّ أنّه وقع شيء من التطور في نظريتهم إلى طبيعة هذه الصلة. بدأ تركيزهم أولا على ربط الدين بالعقل من أجل فهم القرآن. إذن العقل هو الوسيلة لإدراك معنى النص، ثمّ اتجهت عنايتهم في مرحلة ثانية إلى التوفيق بين الوحي والعقل، فبيّنوا أنهما متكاملان ومرتبطان على الرغم من أنّ كل واحد منهما متميز ومستقل عن الآخر. وفي النهاية جعلوا الأسبقية للعقل.

لكن هل يكفي العقل البشري لتوجيه سلوكنا توجيها حسنا دون الوحي؟ كان هذا هو رأي جلّ المعتزلة لأنّهم اعتمدوا على العقل بالدرجة الأولى

---

1. الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص 5. ـ 2. الشهرستاني، نهاية الأقدام في علم الكلام. مكتبة المتنبي، بغداد، بدون تاريخ، ص 371. ـ 3. الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق الكيلاني، القاهرة، 1961، ج1، ص158. ـ 4. أبو ريدة، النظّام، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1946، ص 172. ـ 5. سورة البلد، الآية 10. ـ 6. التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص19.

وبنوا عليه صحة الأفعال الإنسانية. فذهبوا إلى أنّ الله أمر بالأفعال الحسنة لحسنها ونهى عن الأفعال القبيحة لقبحها ولم يكن الأمر هكذا بمحض إرادته تعالى[1]. وقالوا إنّنا لا نعرف الأسباب الإلهية عندما نقوم بفعل ما فلا نحسب لها حسابا[2]. وفي الواقع إن الناس تأملوا وفكروا قبل نزول الوحي. فيمكن إذن أن نميّز بين الخير والشر ونختار أحدهما عن بصيرة. وذلك بفضل عقلنا، وندرك أن علينا واجبات فنؤديها، كما أنّه يتحتم علينا أن نتجنب الشر والظلم والكذب[3].

ولا يقوم حسن الفعل على إرادة الله وحدها كما تزعم الجبرية، ولو صحت نظريتهم لترتبت عنها نتائج غريبة : إذا أمرنا مثلا بالكذب أو الظلم كان فعلنا حسنا، وإذا نهانا عن الصدق والعدل كان فعلنا قبيحا. فيكون الفعل الواحد حسنا وقبيحا في آن واحد، لأنّه يجوز في الحالة الأولى ويحرم في الحالة الثانية[4]. ومن جهة أخرى كيف يعقل أن يضفي النص القرآني قيمة أخلاقية على فعل هو خال منها؟ وهذا أمر مستحيل لأنّه ليس هناك فرق أساسي بين الأفعال العقلية والأفعال الشرعية من الناحية الأخلاقية[5].

غير أنّه لا يجوز أن نخلط بين القانون الطبيعي والقانون الإلهي. وقد لاحظنا فيما سبق أن كل إنسان مسؤول عن أفعاله وإن كان لا يؤمن بالوحي. ومن المعلوم أن الملاحدة والماديين يميّزون فعلا بين الخير والشر[6]. وإذا زعم أحد أنّ هذا ليس في مقدورهم حقا فهو بعيد عن الصواب كل البعد. وهل يمكن أن يقال أيضا إنّهم لا يميزون بين الأبيض والأسود؟ هذا رأي غير معقول[7]. والواقع أنّ البرهمانيين لا يؤمنون بالنبوة ورغم ذلك نلاحظ أنّ سلـــوكهم حسن[8].

---

1. التهاناوي، كشاف مصطلحات الفنون، طبعة القاهرة، ج2، 1969، ص149-150 ـ 2. عبد الجبار، شرح، ص 313. ـ 3. أبو ريدة، النظام، ص16 ـ 4. عبد الجيار، شرح، ص 311-312. ـ 5. عبد الجبار، المغني، ج6، القاهرة، 1962، ص 24 و123. ـ 6. عبد الجبار المغني، ج6، 2، القاهرة، بدون تاريخ. ص. 232 ـ 7. عبد الجبار، شرح، ص 72و479. ـ 8. عبد الجبار، المغني، ج 15، القاهرة، 1965، ص 97.

إنّ العقل البشري يدرك بطبيعته أنّ بعض الأفعال حسنة أو قبيحة كما أنّه يدرك بعض الواجبات. فيعرف مثلا من الأفعال الحسنة الفعل الصالح ويعترف بالجميل وردّ الأمانة لصاحبها ومن الأفعال القبيحة يعرف الظلم والنكران والكذب بدون مبرر. ويدرك أيضا أنّ السلوك الطيب ممدوح والسلوك القبيح مذموم[1]. ولذا لا يرضى بالعقوبة التي لا يستحقها الفاعل مثل التي تسلط على الإنسان البريء في مكان إنسان ظالم، لأنّ كل عاقل يرفض المسؤولية الجماعية[2]. وهذه إشارة إلى موقف الخوارج الأزارقة وكان المعتزلة يعارضونهم بشدة. فيرى أبو هاشم الجبائي أن الفعل الحسن يجب أن يقصد لذاته[3] كما يجب أن يتجنب الفعل القبيح لذاته. والظلم مذموم ولو كان صادرا عن الله تعالى وهذا الرأي يخالف موقف الجبرية بوضوح[4]. وهكذا تبيّن أنّ الفعل البشري يكتسي قيمة أخلاقية لذاته وهذا ما يقره العقل.

3. الوحي يدعم العقل.

إذا كان العقل هو الأساس في حياة الإنسان، ما هي وظيفة الوحي؟ هل نحن في حاجة إليه وإلى أيّ حد؟ يرى المعتزلة أن السلوك العقلي يتميّز عن الوحي فأثارت نظريتهم اعتراضات كثيرة من المعارضين سنقف عندها فيما بعد_ ويتعيّن علينا هنا أن نبين آراء المعتزلة كما عبّرت عنها كتبهم.

إنّ الرسالة النبوية ضرورية وذلك لسببين رئيسيين: إنّها تدعم أولا ما جاء به العقل إذ كل إنسان يعرف بطبيعته ما يجب أن يفعله وما يجب أن يتجنبه من شر لمصلحته، غير أنّه لا يستطيع أن يضبط كل هذه الأفعال. فيحددها له الأنبياء والرسل بالوحي، والله يبعث بهم عند الحاجة[5] ليذكّروا الناس بواجباتهم. والشرعيات لا تختلف في جوهرها عن العقليات لأنّ مصدرها واحد وهو الله[6].

---

1. عبد الجبار، المغني، ج 11، القاهرة، 1965، ص.384. – 2. عبد الجبار، شرح، ص 321. – 3. عبد الجبار، المغني، ج.15 ص.66. – 4. عبد الجبار، المغني ج6، 1، ص. 128. – 5. عبد الجبار، شرح، ص 564. – 6. عبد الجبار، ج 5، ص 45-46 و110.

ويرى السجستاني ـوهو من المدرسة الاعتزالية ـ أنّ الوحي يأتي ليؤكد العقليات وتارة ليدعم الأفعال التي يأذن بها العقل للمصلحة العامة والمقصود من الأفعال كلها سعادة الإنسان. والنص يكون إما ظاهرا وإمّا باطنا، فعلى العقل أن يؤول النص الباطن، ويبيّن القرآن ما هو واجب وما هو محظور، فتفسره السنة النبوية واجتهاد العلماء والصالحين[1]. والنّبي أفضل من الفيلسوف لأنّه يتلقى الوحي في حين أنّ الفيلسوف يعد من الذين يوجه لهم النّبي ما أنزل عليه[2].

وإذا وقع خلاف في الظاهر بين النص والعقل يرى المعتزلة أن التوفيق يحصل بالتأويل العقلي، لأنّه يجب علينا أن نفهم القرآن على ضوء العقل. وهذا المنهج سليم لأنّ الوحي يدعم العقل[3] كما أشرنا إلى ذلك سابقا. مثلا إذا جاء في الآية أن الله "قريب" من عباده لا يمكن أن نفهم من "القرب" الوجود في مكان لأنّ هذا "تجسيم" والله سبحانه لا يوجد في مكان معيّن. وإنّما المقصود من كلمة "قريب" هو أن الله عليم بأقوالنا وأفعالنا[4]. وفي نهاية الأمر تكون الصدارة للعقل ولا يمكن أن نجد في القرآن نصا يعارض العقل، أو بعبارة أخرى، إذا وقع الخلاف فلا بد من إعطاء الأولوية للعقل.

4. اعتراضات الخصوم.

عارض آراء المعتزلة مجموعتان من الخصوم وهما أهل السنة والأشاعرة من ناحية والملاحدة والفلاسفة العقليون من ناحية أخرى. إنّ الإنسان في رأي المجموعة الأولى لا يستطيع أن يتحرر من الإرادة الإلهية، فالله هو الذي يريد أفعال الإنسان أو لا يريدها، فتكون هذه الأفعال محمودة إذا امتثلت للإرادة الإلهية ومذمومة إذا خالفتها. ولذا رفض أهل السنة نظرية المعتزلة وخرج عليهم الأشعري (330 هـ / 941 م) فأسّس مدرسة جديدة.

---

1. التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج2، ص 12-14. – 2. التوحيدي، الامتناع والمؤانسة، ج 2، ص 9-10. – 3. ابن متويه، المحيط بالتكليف، ج1، ص 25. – 4. عبد الجبار، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص 41-42.

إنّ الأشعري وتلامذته لا ينفون مكانة العقل، غير أنّهم لا يجعلون منه دعامة للواجبات الأخلاقية[1]. يعترض البقلاني (403هـ/1013م) على المعتزلة بأنّ العقل لا يمكنه أن يوجه الأفعال البشرية توجيها خلقيا، إذ المصدر الوحيد لهذا التوجيه هو الشريعة الإلهية، ولا دخل فيها للعقل. ولا توجد أيّة وسيلة عقلية تستطيع إجبار الإنسان على فعل ما، أو الامتناع عنه. والجدير بالملاحظة أنّ الكثير من الناس لا يمتثلون للعقل في تصرفاتهم. ولو صحّ رأي المعتزلة في أنّ الله وهب العقل الكامل لكلّ إنسان، لفقدت النبوة وظيفتها[2]. ويضيف الشهرستاني (548هـ/1153 م) أنّه ليس هناك خير عقلي ولا شر عقلي والأخلاق تعتمد على الوحي فقط[3]. وإذا تخلينا عن الوحي فلا بد أن نأخذ بعين الاعتبار عادات كل الشعوب وتقاليدها[4].

وتعارض الصوفية أيضا رأي المعتزلة وخاصة منهجهم العقلي. وتعتبر أنّ تأويل القرآن لا يخلو من الخطأ. ويحصر المحاسبي (243هـ/848م) واجب العقل في المساعدة على فهم النص والبرهنة على صحته[5] ويعتقد أنّ المنهج الصوفي هو السليم، لا منهج التأويل العقلي، لأنّ الأوّل يعتمد على الحس، ويوصل إلى الحقيقة والثاني لا يتحرر كلية من الخيال الفردي. ويحذّر الشعراني (973هـ/ 1566م) من خطر التأويل العقلي للقرآن لأنّه قد يفقدنا الإيمان، فيجب أن نساير الوحي لا العقل[6].

وينتمي إلى المجموعة الثانية من خصوم المعتزلة عدد من المفكرين والفلاسفة نذكر منهم بعض الشخصيات البارزة. ينتقد ابن الراوندي الملحد (298 هـ/910م) الوحي ويرى أنّه لا يفيد في شيء، ويتمسك بالعقل، إذ هو الذي يميّز بين الخير والشر. فالإنسان ليس في حاجة إلى النبوة ولا إلى المعجزات وذلك لأنها تخالف القوانين الطبيعية. وقد رد عليه أبو علي الجبائي الذي كان من معاصريه،

---

1. الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص 371. - 2. الباقلاني، كتاب التمهيد، دار الفكر، القاهرة، 1947، ص 371-372. - 3. الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص 223 و370. - 4. الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص 373. - 5. عبد الحليم محمود، المحاسبي، مكتبة غوتنير، باريس، 1940، ص 88. - 6. روجير أرنالديز، ابن حزم، مكتبة فران، باريس، 1956، 27.

ثمّ أبو الحسين الخياط في (كتاب الانتصار). ومن خصوم المعتزلة الطبيب الفيلسوف أبو بكر الرازي (313هـ/925م) الذي أيّد مواقف ابن الراوندي، ورفض التوفيق بين الوحي والعقل بل رأى أنّ الفلسفة وحدها هي التي تستطيع أن تضمن السعادة للإنسان، والتقدم للمجتمع. ولذا هاجم الرسالة النبوية وناظر كثيرا فيها أحد مواطنيه، وهو أبو حاتم الرّازي (330هـ/941م) المنتمي إلى الشيعة والمعتزلة. فألّف هذا الأخير في الموضوع كتاب (أعلام النبوة) وفند فيه رأى أبي بكر الرّازي.

5. تطور الآراء فيما بعد.

تطورت آراء بعض الخصوم فيما بعد وتقبّلوا إلى حدّ كبير ما رفضه المتقدمون. نلاحظ هذا التطور عند الحنابلة أولا بعدما كان الإمام ابن حنبل (241هـ/855م) من أشهر المعارضين للمذهب المعتزلي. فتبنى ابن عقيل (513هـ/1119م) الحنبلي التأويل العقلي[1] كما فعل بعده ابن الجوزي (597هـ/1200م) الذي رد على المجسمة، معتمدا على النص والعقل[2]. وصرح ابن تيمية (728هـ/1328م) بالتوفيق بين العقل والوحي مؤكدا أنّهما متكاملان وبيّن أنّ الدليل العقلي لا يناقض الدليل الشرعي، وفقا لما أشار إليه القاضي عبد الجبار من قبل[3]. وأضاف أنّ الشريعة لها أسس عقلية[4]. وقد رأى تلميذه ابن قيم الجوزية (751هـ/1350م) نفس الرأي[5].

أمّا الأشاعرة المتأخرون فإنّهم قالوا أيضا بالتوفيق بين الدين والعقل. رأى الغزالي (505هـ/1111م) "أنّ لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول ... فالمعرض عن العقل مكتفيا بنور القرآن مثاله كالمعترض عن الشمس مغمضا للأجفان. فلا فرق بينه وبين العميان. فالعقل مع الشرع نور على نور"[6].

1. جورج مقدسي، ابن عقيل، المعهد الفرنسي، دمشق، 1963 ص 508-509. – **2.** ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الفكر، دمشق، 1960، ج1، ص 128. – **3.** ابن تيمية، التفسير، بومباي، 1964، 353، 386. – **4.** ابن تيمية، مجموعة الرسائل، القاهرة، 1341هـ، ج 5، ص30-47. – **5.** ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، القاهرة، بدون تاريخ، ص 79 و248. - **6.** الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، القاهرة، 1962، ص3.

إن العقل يدعم الإيمان ويوصل إلى اليقين[1]. ويؤيد فخر الدين الرّازي (606هـ/1209م) هذا الرأي ويتوسع فيه، غير أنّه لا يفضّل العقل على الوحي، لأنّ الوحي هو أساس العقل[2].

وأقرّ الفلاسفة المسلمون سواء كانوا من أهل السنة أو من الشيعة التوفيق بين الوحي والعقل. فيرى "إخوان الصفاء" أنّ ضرورة العقل لا يمكن الشك فيها، لأنّه الدليل الذي يستدل به الله تعالى والحكم المعترف به في المعاملات الاجتماعية وتوحيد الدين والعقل من دعائم فلسفتهم[3]. ويؤكد رأي المعتزلة كلّ من الفيلسوفين الكندي (260هـ/873م) وابن رشد (595هـ/1198م)، فيقول الأوّل بتكامل العقل والنبوة، ولكنّه لا يفضل العقل عليها. وخصّص ابن رشد رسالته المشهورة ـ(فصل المقال) ـ لتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال[4]. فيذهب إلى أنّ مصدرهما واحد وهو الحقيقة، ولذا لا يمكن الخلاف بينهما: فالحقيقة لا تعارض الحقيقة[5].

وعند ظهور حركة النهضة الإسلامية الحديثة نلاحظ أنّها تمسكت ببعض الآراء من مذهب الاعتزال. وتكفينا هنا وقفة عند رائدي هذه النهضة وهما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. قارن الأفغاني (توفي سنة 1897) بين النبوة والحكمة. فبيّن أنّ الأولى يهبها الله لمن يشاء، في حين أن الثانية تكتسب بالنظر، ولكنّه فضل النّبي على الفيلسوف كما فعل المعتزلة قبله. فالنّبي معصوم والفيلسوف معرض للخطأ. ولذا يجب الامتثال لأوامر الأول ويسمع للثاني أو لا يسمع له[6]. والإسلام في رأيه كاد يكون من بين الديانات الأخرى الدين الوحيد الذي يعتمد على العقل ويذم من يؤمن بدون دليل[7]. واقتدى محمد عبده بآراء الأفغاني وقال هو الآخر بالتوفيق بين الدين والعقل

---

1. الغزالي، إحياء علوم الدين، القاهرة، بدون تاريخ، ج3، ص. 410. - 2. فخر الدين الرازي، التفسير، القاهرة، بدون تاريخ، ج2، ص. 177-178. - 3. إخوان الصفاء، رسائل، القاهرة، 1928، ج4، 1، ص. 391. - 4. ابن رشد، فصل المقال، طبعة الجزائر، 1978. - 5. ابن رشد، فصل المقال، طبعة الجزائر، ص. 34-64. - 6. الأفغاني، خاطرات، دار حراء، القاهرة، 1963. ص. 16. - 7. الأفغاني، الرد على الدهريين، دار الهلال، القاهرة، ص166.

مؤكدا أنّ العقل هو أساس الأخلاق كما قال المعتزلة من قبل. فيستطيع كلّ إنسان أن يهتدي إلى الأخلاق بقطع النظر عن الوحي. إنّه يميّز بين الخير والشر بفضل التأمل وبه يكتشف القواعد الأخلاقية ولا تقلّ قيمة هذه القواعد في الواقع عن تعاليم الشريعة الإلهية[1]. فيقول محمد عبده في هذا المعنى: "جاء الشرع مبينا للواقع، فهو ليس محدث الحسن، ونصوصه تؤيد ذلك"[2]، والفعل يعتبر حسنا لذاته والله يقرّه لحسنه ولا يصير الفعل القبيح حسنا لأنّ الله أقره[3]... وأمّا النبوة فإنّها تدعم العقليات وتكمّلها، والأنبياء "يبيّنون ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم، وتنازعته مصالحهم ولذاتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات بأمر الله الصادع ويؤدون بما يبلغون عنه ما تقوم به المصالح العامة، ولا تفوت به المنافع الخاصة"[4].

وهكذا يبدو لنا تأثير آراء المعتزلة والعلماء المتأخرين واضحا في الفكر الإسلامي الحديث بعدما تطورت مواقف أهل السنة نحو الاعتزال. فرأينا ما توصّل إليه اجتهاد العلماء الذين أرادوا أن يسايروا العصر، فتجاوزوا الخلافات القديمة وراجعوا الكثير منها. واستمر هذا الاجتهاد إلى يومنا هذا في مختلف الأقطار الإسلامية، بغية الوصول إلى نظريات تناسب العقل من ناحية وتدعم الوحي من ناحية أخرى. ويلاحظ أنّ القضية الأساسية التي يجب مناقشتها الآن هي صلة العلم بالدين، إذ تبلورت اليوم قدرة العقل البشري في مجالات العلم والتكنولوجيا. وهذا موضوع بحث آخر نرجو أن يقوم به غيرنا في مناسبة من المناسبات. فنكتفي بالإشارة إليه هنا ولا نخرج عن إطار موضوعنا.

---

1. محمد عبده، رسالة التوحيد، مكتبة القاهرة، 1960، ص. 80-81. – 2. محمد عبده، رسالة التوحيد، ص.81. – 3. عثمان أمين، محمد عبده، القاهرة، 1944، ص.99. – 4. محمد عبده، رسالة التوحيد، ص. 120.